نقد الينبوع

(٤)

كتب الناقد الأدبي لمجلة (العاصفة) البيروتية فى عدد ١٤ أيار الماضى مقالاً طويلاً عنوانه « مع أن فى مصر شعراء . . . ديوان أبى شادى الجديد لا يبيّض وجه الأدب المصرى » ، ونحن نحبّ الزميلة النشيطة ونقدّرها ومع ذلك لا نرى فى مقالها نقداً أصيلا إلا فى مواضع قليلة ، وإنما هو فى جملته ترديد لما كتبه ناقد سابق . وعلى هذا الاعتبار لن نطيل وقفتنا عنده وانما ننوّه به فقط لاعتقادنا فى حسن نية الزميلة الفاضلة وفى غيرتها على الأدب العربى .

وليس لنا أن نزكى أدبنا ولا أن نُرغم أحداً كائناً مَنْ كان على إحلاله محلّ الاعتبار وإنما يعنينا فقط تناول المبادىء الأدبية والنقدية بالتعليق اذا ما دعت الحاجةُ الى ذلك ما دمنا نخدم هذه المبادىء :—

(١) تنتقد الزميلة الفاضلة كثرة إنتاجنا الشعرى فأين هذا الانتاج من انتاج ابن الرومى مهيار مثلا أو من انتاج المكثرين من شعراء الغرب ؟ ثم تنتقل من ذلك الى تحتيم كثرة الإسفاف والقبح فى هذا الشعر تبعاً لكثرة الانتاج . . . وهذه نظرية خاطئة فحيثما وُجد شاعرٌ مجيدٌ فهو لا يسفّ بحكم كثرة انتاجه ، وانما تتنوّع صور شعره حسب المؤثرات المختلفة ، كما تتنوّع صُوَرُ حياته نفسها ، وهو فى جميع تلك الأحوال محتفظ بشخصيته الشاعرة التى تتجلى فى أشعاره .

(٢) ويدّعى ناقدنا الفاضل أننا ننظم للنظم وحده وكثيراً ما يكون غرضنا ارضاء القافية لا غير ! ومثل هذا النقد العجيب الذى لا يعزّزه شاهدٌ واحدٌ

لم يجر عليه ناقدٌ من قبل ،كذلك لم نسمع أن ختام قصائدنا يشعر بالضعف بل سمعنا وقرأنا عكس ذلك الا فى هذه المرة . والكاتب الذى يجازف بهذه الأحكام وخصوصاً بقوله إننا ننظم للنظم فقط هو حقاً جرئ جداً لأن هذه الملاحظات تدخل فى باب التأريخ لمزاج الشاعر وخواصه ، وناقدنا الفاضل لا يعرفنا فمن العجيب أن يشذّ هذا الشذوذ فى الحكم علينا . وإذا كان هذا ما يُكتب عن شاعر معاصر ما يزال حياً يرزق فكم من الأحكام الخاطئة كُتبتْ عن شعراء متقدّمين ؟!

(٣) نحن لا نتردد فى أن نسقط من شعرنا ما يقضى به التنقيح أو النظم ، ولكننا لا نعرف ذلك الحذف والبترَ الكثير كما يفعل كثيرون من شعراء الصناعة قديماً وحديثاً ، فنحن لا ننظم عن رغبة أو رهبة وانما ننظم عن عاطفة سواء أكانت أصيلة أم متمثّلة فى رواياتنا وقصصنا ، ولذلك نأبى إباءً وأد هذه العواطف التى نعزّها ونحرص على تعابيرها . وشتّان بين هذه الحالة وحالة شعراء الأمداح والمراثى والمناسبات العرَضية .

(٤) سمعنا كثيراً عن الركاكة واللكنة والإسفاف ولغة الجرائد وأمثال هذه الأوصاف لكل شعر مجدّد يخرج نظمه على القوالب والرواشم المألوفة وإنْ أفاد الأدب العربى بما يستحدثه أعظم إفادة . واخواننا المنتقصون الذين يلقون بأمثال هذا الكلام علينا وعلى أصدقائنا فى غير دليل يفسون أن لغة الصحافة الدارجة هى مما يأنف منه الشعراء المجدّدون وانما هم يحبون البساطة لأن البساطة من روح الفنّ . وهذه البساطة أولى بأن تدخل فى باب السهل الممتنع ، وقد شبع شعر حافظ ابراهيم وشعر الزهاوى من التصفيق لهما ، ومع ذلك فلا يوجد الشاعر المجدّد الذى يقول قول المرحوم حافظ فى وقف الجامعة المصرية :

ثلاثةٌ من سراة الريف قد وقفوا على مدارسنا سبعين فدانا !

أو قول الزهاوى فى طيران لندنبرج :

فى ثلاثين ساعة وثلاث من نيويورك نحو باريس طارَ !

فهل هذا من النظم العالى الذى يتغنى به ناقدنا والذى لا يراه فى معظم شعرنا ؟!

(٥) لم يقل أحدٌ من قبل إن التسلسل مفقودٌ فى شعرنا بل قيل تكراراً إن تربيتنا العلمية ضمنت لنا هذا التسلسل ووحدة القصيدة التى كثيراً ما نبهنا إلى

أهميتها الفنية . وحتى أغنية « أنشودة الهاجر » (الينبوع - ص ٦٦) التى آخذنا عليها ناقدنا الفاضل متماسكة الأجزاء متسلسلة المعانى، ولحضرته أن لا يجد فيها معانى جديدة ولكنها على أى حال نابضة بالعاطفة ، وهذا يكفينا اذا حُرِمَتْ حظها من ابداع الذكاء ، فالذكاء عنصر ثانوى فى الشعر الوجدانى .

(٦) استنتج حضرة الناقد من تردّد الأصداء والأضواء والأحلام والفنون فى شعرنا أن شعرنا غير واسع الخيال ، مع العلم أنه يحكم علينا بديوان واحد وليس بمجموع شعرنا فى أكثر من ربع قرن . وعلى فرض أن صُوَر هذه الخوالج لا تتبدّل — وهذا غير صحيح — فالشعر العصرى يعنيه التنوع والتخصص فى الشعراء ، بيد أن الحقيقة خلاف ذلك الحكم ، وقد يوجد لنا شعر قديم يشابه فى بعض ألفاظه واتجاهاته شعرنا الحديث ولكنه يخالفه فى الدقائق والتصاوير . مثال ذلك من شعرنا القديم قصيدة « المعنى الأقدس » (أنداء الفجر — ص ١٥) حيث نقول :

حبيبتى ! أنتِ لى معنًى أبجّله ... فوقَ المعانى التى تُحكى بتعبيرى
معنًى تقدّسَ فى طُهر وفى ألقٍ ... كالنور، لكن تسامَى عن سنى النورِ
معنًى أظلُّ سنينَ العمر أنشدُهُ ... ولستُ أعرف منه غيرَ تقصيرى
وكلُّ مغزاه أن ألقاكِ فى شغفى ... كلاهما فى مَداهُ غيرُ محصورِ !

« ٠ »

رضيتُ هذا الصبا قربانَ آونةٍ ... يُجيبُ فكرُكِ فيها كلَّ تفكيرِ
ما دمتِ نائيةً عنى ففى طربى ... هَمٌّ، وفى مَرَحى شتى الأعاصيرِ !

وقد تلمح هذه الروح فى قصيدة « المتعبد » (الينبوع - ص ١٠٣) كما نبهنا أحد النقاد حيث نقول :

لى عيونٌ مِن صَفوِ نفسى تناجيه فما يُسعف التصوّفَ طرفُ
وأنا ذلك الضعيفُ ولكنْ فى حماهُ لا يعرفُ النفسَ ضعفُ
لُغتى مِنْ حَنانِ هذى المبانى والمعانى وما لها بَعْدُ حَرْفُ
لُغةٌ للصموت وهو بليغٌ ، ربَّ صَمْتٍ له بيانٌ ووصفُ

فبالرغم من بعض التشابه فى الألفاظ والتأمّل فالموقفان جِدٌّ مختلفين ، وكذلك

المعانى جدّ مختلفة ، وهذا هو الواقع ازاء جميع شعر (الينبوع) بل جميع شعرنا ، وإن كنا لا ننكر أن الشاعر كثيراً ما يحسّ بتجدّد الحاجة الى التعبير عن معنى من المعانى أو عاطفة من العواطف فاذا كرر المحاولة فهو لن يكرر المعنى بل يضيف جديداً الى القديم .

* * *

وكتب الأديب الحلبي المرتيني الى مجلة (الرسالة) مقالاً آخر نشرته فى عددها المؤرخ ١٤ مايو سنة ١٩٣٤ وعلقنا عليه فى عددها المؤرّخ ٢٨ مايو ، كما ردّ عليه الشاعر الناثر عبد اللطيف السحرتى المحامى بملحق « السياسة » الأدبى المؤرّخ ٢٦ مايو ، فليرجع اليها من شاء من حضرات القراء ، ولنقّادنا جميعاً الشكر على غيرتهم الأدبية وعنايتهم .

* * *

وكتب الدكتور زكى مبارك النقد الآتى فى صحيفة (البلاغ) المصرية :

اللهم إنا نستعينك ونستهديك !

يذكر القراء أنى حدثتهم مرات عن شعر الدكتور أبى شادى ، ويذكرون أنى لم أرضِه ولم أرض أصدقاءه الأبرار ، ولكننى أرضيت الواجب فى انصاف هذا الصديق ؛ وهل هناك انصاف أفضل من كلمة الحق وإن ساءت من تُقال فيه ؟ انه يكفى أن يكون الناقد صادق النية ، صحيح السريرة ، وما يستطيع الدكتور أبو شادى أن يتهم مودتى ، أو يتوهم أننى أناصر خصومه الحاقدين وانما أنا رجل يكره المجاملة ، ويبغض المحاباة ، ويتمنى أن يسلم النقد الأدبى مما حلّ به من آفات الرفق المتكلف والتحامل المصنوع ، فنحن نعيش فى زمان تقسم فيه الأدباء إلى شيع وأحزاب ، وانعدم الانصاف أو كاد ، وصرنا نبحث عن السرّ فى الكلمة الطيبة ، فنجد الرفق فى النقد يستند إلى مودة ظاهرة أو خفية ، ونرى الحرص على سرد العيوب يرجع إلى حقد ظاهر أو مدفون ، والا فكيف اتفق للباحث فلان أن يتكلم عن شاعرين فى مقال واحد فيرفع أحدهما الى السماك ، وينزل بالثانى الى الحضيض ، على حين يأبى الحق أن يوافقه على رَفْع من رفع وخفْض من خفض ، وانما هى نزوات تأخذ وقودها من مستور الأهواء ؟!

فلا يغضب الدكتور أبوشادى إن آلمناه بهذا النقد ، فنحن نشهد أننا نتخذ من شمائله حقولاً للتجارب الأدبية ، ومن حسن الحظ أننا اختبرناه غير مرة ، فلم نره يزداد على المكاره الا نبلاً وسماحةً ، وهذا مما يقلل من قيمة الشجاعة فى نقده: فلو كان رجلا غير عفّ اللسان لكانت الجرأة فى نقده فضيلة عظيمة ، ولكن هكذا حرت المقادير أن تقاتل رجلا يقابل الطعنات بثغر باسم وقلب طروب .

ومما آسف له أن أهاجم شاعراً مجّدنى فى شعره النبيل ، وسأقاسى مثل هذا الاسف حين أنقد ديوان الدكتور ناجى ، وفيه قصيدة عن زكى مبارك هى عندى نفس من الدنيا الغنية والملك العريض ، ولكن ماذا أصنع وقد احترفت النقد الأدبى ، ووضعت فيه أصولا وطرائق أخشى أن يفسدها الحرص على مجاملة الرفاق ، وأن تزيفها الرغبة فى مقابلة الجميل بالجميل ؟

أيرانى القراء أحسنت التمهيد لهذا البحث ؟ اذن فليسمعوا ، أو فليقرأوا ، غير مأمورين !

ونبدأ هذا الحديث بنقد بدعة التجاوب التى اخترعها الدكتور أبوشادى ، وهى بدعة فيها عنصر من الهدى وعناصر من الضلال ، وقد سجل هذه البدعة بقوله :

كنْ أنتَ نفسى واقترن بعواطفى تجد المعيبَ لدىّ غيرَ معيبِ

وهذا حق ، فلو وضع الناقد نفسه موضع الشاعر حين قال قصيدته أو مقطوعته لعرف أنه ليس فى الامكان أبدع مما كان .

ولكن كيف يكون الحال لو اصطنع النقاد جميعاً هذا المبدأ الجديد ؟

ان كل الناس أشعر الناس فى هذه الحال ، لأن الشعراء جميعاً جادوا بما عندهم فى اللحظات التى نطقوا فيها بالجيد والوسط والمرذول ، والناقد على هذا معتسف فى جميع الأحوال ، لانه يتجنى على الشاعر ويتجاهل ما أحاط به من ظروف ومؤثرات.

من واجب الناقد أن يتعمق فى درس حياة الشاعر الذى يضع شعره فى الميزان وأن يجتهد فى أن يرى الأشياء بعينه ، ويدركها بشعوره ، ليستطيع وزن ما يقول . وهذا كلام نشرته منذ عشر سنين ، ولكن هذا الدرس الواجب لن ينسينا أن هناك حقائق أدبية اليها المرجع والمصير فى نقد آثار الشعراء ، وليس الناقد مطالباً بأن يطيع الدكتور ابا شادى طاعة مطلقة فيكون نفسه ويقترن بعواطفه ليرى

المعيب لديه غير معيب ، وانما يجب على الناقد أن يفهم نفس الشاعر ، وان يفهم بجانب ذلك أن هناك حقائق أدبية يحتكم اليها المختصون من النقاد والشعراء .

على أن النزاع بيني وبين الدكتور أبي شادى لا يرجع الى مسائل نفسية ، فانا أكاد أتفق معه فى النظرة الى الشعر والى الحياة ، وأكاد أسايره فى حياته العقلية والروحية على بُعد ما بيننا فى تقدير الصُوَر والأساليب .

وأنا أعترف بان صديقى كله شعر ، ودواوينه جميعاً معطرة بالأنداء الشعرية ، وديوان (الينبوع) خاصة يفيض بالمعانى التى تخاطب العقل والروح . والفهرس وحده يطالعك بألوان من الفكر والخيال : كالصبا المبعوث ، والألحان الصامتة ، ورعشة الحور ، وعيون المنصورة ، واللهفة الخالدة ، والأم الحنون ، والعيون المتكلمة ، ورثاء الجمال ، والجمال النبيل ، وحمى الموج ، وقبلة الابتسام ، وزهر الحب ، وجناية الأجيال ، والحج الأخير ، والعودة ، ولهو القدر ، والعواصف ، والحزن الوديع ، والنجوم الهاوية ، وثمن الحرية ، وسجن الشرف ، وآلام الريف ، ونبل المخصومة وفندق الحياة ، وعقاب الغدر ، والقلب المتفجر ، وموت النسور ، وعيش الالوهة ، ونشيد النيروز ، والنار والجنة ، وألحان الحياة ، وأنشودة الهاجر ، وكأس الظمأ ، وقدسية المرأة ، والحكمة الخالدة ، والأوراق الميتة ، وحلم الفراشة ، والوفاء الذبيح ، والدهر الساخر ، وبائع الأحلام ، والسعادة المجنحة ، وخمر الحياة ، ومسلة المطرية ، والشروق الهائب ، والورود الحمراء ، ولصوص الخلود ، وأنشودة الفناء ، ومَرقص الخلود ، ومصر العازفة ، والحياة الذاتية ، وليالى رمضان ، والأشعة الصادحة ، وطائر الحب . . . الخ .

ولا يطوف بأمثال هذه المعانى إلا شاعر يحلق فى أجواء الخيال . فالدكتور أبوشادى ينظر الى الحياة نظرة شعرية ، لا نكران لذلك . ولكن موضع النزاع هو تأدية هذه المعانى . فلندرس بعض قصائده لنرى نصيبه من التوفيق فى عرض ما قصد اليه من المعانى والأغراض .

للدكتور أبى شادى قصائد ومقطوعات فى وصف الشواطىء نمتحن منها القصيدة الآتية :

زعموا الجمالَ تمنّعاً وتحجباً حين الجمالُ رشاقة التعبير
لم يَدرِهِ المتنطعون وانما يدريه كلُّ مغرّدٍ بشعورى

ففى البيت الأول دعوى على مجهولين ، وجهاد فى غير عدوٍّ مبين ، وإلا فمن هم الذين زعموا أن الجمال هو التمنع والتحجب ؟ وقوله (ان الجمال رشاقة التعبير) كلام ينقصه البيان ، وإن قيل إنه من الرمزيات . وفى البيت الثانى حدثنا أن المتنطعين لا يدرون الجمال ، وانما يدريه كل من يغرد بشعوره ، وبذلك قسم الدنيا إلى حزبين : حزب المتنطعين وحزب أبى شادى !

ثم قال :

يا بنتَ أفروديت حسنُكِ ماثلٌ ... فى جسمك المتموّج المسحورِ
سحرتْه أمواجُ الهواء وكلُّ ما ... حمل الهواءُ من الندى والنورِ

وهو فى هذين البيتين يجعل تلك الحسناء صنيعة للوجود ، ولا يتحدث عن أثر حسنها فى تلوين الوجود .

تمشين عاريةً كأنك شعلةٌ ... للربِّ تُستوحَى كوحى الطورِ
مِن كلِّ جزءٍ نفحةٌ علويةٌ ... مشبوبةٌ فى قلب كلِّ بصيرِ
هى خيرُ ما تهب الحياةُ لشاعرٍ ... إن فاتها الموتى ولحظُ ضريرِ

والبيت الأول من هذه الثلاثة معناه أن تلك الحسناء تمشى عارية كأنها شعلة للربِّ ، وهو يشير إلى نار موسى عليه السلام ، ثم يحكم بأنها تستوحى كوحى الطور ، وهى عبارة ثقيلة جداً ، وهو يريد أنها تستوحى كما يستوحى الطور ، والبيت الثانى جيد المعنى ، لولا الضعف فى عبارة (قلب كل بصير) والبيت الثالث مقبول الصدر ، أما قوله (إن فاتها الموتى ولحظ ضرير) فكلام لا يفهمه إلاَّ الدكتور أبو شادى . . . ثم قال :

يا بنتَ أفروديت لا تتهيبى ... وخُذِى الحياةَ مجالَ كلِّ حبورِ
وتخطرى ظِلاًّ لنا وأشعةً ... ما كنَّ غيرَ عواطفٍ وشعورِ
نهداكِ أم ساقاكِ ما نطقا سوى ... بالشعرِ فى لغةٍ من التصويرِ

وهو ينصح بنت أفروديت أن لا تخاف ، وأن تأخذ الحياة مجالاً لجميع المسرات وأن تتخطر أشعة وظلالا من العواطف والشعور ، وتلك نصيحة طيبة من رجل طيب !

والبيت الثالث بارع المعنى ولكنه سيء التركيب ، فانه لا يقال (ما نطقا سوى بالشعر) إلا عند اليأس من التعبير الفصيح . . . ثم قال :

مَن ذا يحجّب نبعَكِ الحرَّ الذى وهبتـه أفروديتُ للنقـدير
وهبته كى يحيا ويُعبَدَ بيننا جسماً وروحاً فى مِثال الحور
أيذوقُك البحرُ الطروبُ مُقبّلا ومعانقاً فى وصله المبرور
ونظلّ نحن العابديك على أسَى ما بين حرمانٍ وبأسٍ صخور

و « النبع الحر » فى تلك الحسناء غير معروف ، والتقدير لم يمنعه أحد حتى يتلهف عليـه الشاعر الولهان ، وحسرة صاحبنا على نعيم البحر وحرمانه هو حسرة شاعر محروم ، أما بأس الصخور فلا نفهم معناه !

والشاهد أن هذه القصيدة من النفحات الشعرية : ففيها البحر المنعم بأجسام الحور ، وفيها الظلال والأشعة والعواطف والشعور ، وفيها لغة التصوير والحياة والعبادة والطرب والوصل والعناق ، وفيها أفروديت عليها وعلى بناتها السلام ، ولكن أين القصيدة ؟ وأين الشعر ؟ وأين وحى كل هذه العوالم فى نفس الشاعر الفنّان ؟

آين ما صنعت بنت أفروديت بقلب الشاعر المحروم ؟

لقد أوحت بنت حواء الى الشعراء ، وعجزت بنت أفروديت عن إلهـام أبى شادى ، فلم يتغن إلا بهذا الكلام !

ومن جيد شعر (الينبوع) هذه الابيات :

وما النبلُ ما تلقاه من ودّ صاحبٍ ولكنه نبلٌ رعاه خصيمُ
اذا طعنت الاحداثُ جاز امتحانها كريمٌ ، ولم يصمد وزلّ لئيمُ
فلا نبل فى ودٍّ اذا حال لم يكن عزيزاً نبيلاً فالكريمُ كريمُ

والبيت الثانى واضح المعنى ، جيد التصوير ، أما البيت الأول فلفظه يقصر عن معناه ، والبيت الثالث متهافت .

كل أنواع الموجودات تصلح للشعر عند الدكتور أبى شادى ، حتى ذباب الصيف ! وانظر كيف يقول :

هجم الذبابُ كأنما ثأرٌ له هذا الهجومُ بغضبةٍ متطايرهْ
ما باله مثلُ الهموم تتابعت أو كالرشاش من الجيوش الكاسرهْ
نفنيه ، لكن لا يزال وفودُهُ فكأنما يحيا ببعثِ الآخرهْ !

ونسأل صديقنا الشاعر عن صحة التعبير فى قوله « كأنما ثأر له هذا الهجوم » فانا نلمح فيه رطانة أعجمية ، وتشبيه الذباب بالهموم تشبيه غير مقبول ، فهموم الشعراء أندى وأرق و « أنظف » من جيوش الذباب ، وحكاية البعث فى البيت الثالث غير مفهومة ، وأغلب الظن أن هذا « الحشر » قضت به القافية !

وقد يتفق للدكتور أبى شادى أن يحزن ويبأس من الناس ، فيتغنى بحزنه وألمه كما يتغنى الشعراء ، وفى أمثال هذه الحال يقارب الاجادة ، كأن يقول :

اليك ألجأ يا أفياءَ صومعتى بعد الذى ذقتُ من صحبى وآلامى
هبى حياتى سلاماً منكِ أعهدُهُ ترعرعت فيه أطيافى وأنغامى
لقد سئمتُ هواءً كاد يخنقنى من الرياء وكم عانيت أسقامى
كما سئمتُ ضياءً كله ظلمٌ فعدتُ أوثر ليلى بين أوهامى !

وخلاصة القول إن الدكتور أبا شادى شاعر يتمثل شعره فى صفاء قلبه ، ولطف حسه ، وسلامة ذوقه ، وقوة اخلاصه ، ومتانة وفائه . أما دواوينه فليس فيها إلا عناوين قصائد هى رموز للشعر البليغ . ومع هذا فله أصدقاء وأنصار يرونه أشعر الناس ، ومن حسن الحظ أن يكون الأمر كذلك ، فان هذا الرجل أهلٌ لأن يكون له فى دنياه معجبون يتغنون بقصائده التى تعدّ بالالوف » .

ولا يسعنا الا أن نشكر لصديقنا الدكتور زكى مبارك كلماته الكريمةَ وحُسنَ ظنّه بنا وأن تعترف صراحةً بما عهدناه فيه دائماً من الشجاعة الأدبية وحبِّ الحقِّ والانصاف كما يُوحى اليه ضميرُه الحىُّ . ولا يسرّنا نقدٌ أكثر مما نتلقاه من الدكتور زكى مبارك فان وراء نقده غيرةً أدبيةً صريحةً وذكاءً خارقاً وخلقاً متيناً واستعداداً دائماً للاقتناع أمام الحجة . لذلك يطيب لنا التعليق على نقده بهذه الملاحظات الوجيزة :

(١) ليس ما ذكرناه عن ضرورة التجاوب فى الآداب والفنون لاستشعار محاسنها بدعةً لنا ، بل هى حقيقةٌ معترفٌ بها فى مراجع النقد . وغير خاف عن صديقنا أنّ النقد بالاجمال إما أن يكون محايداً فلا يخضع لأحكام معيّنة — نظراً للتنوّع

العظيم فى الطبيعة ـ ولا يتأثر بعواطف الناقد :وهذا مذهب سانت بيف ، وإما أن يكون ممثلاً لتأثير الآثار الأدبية فى نفس الناقد تبعاً لعوامل الطبع والبيئة وازمن: وهذا مذهب تين . وصديقنا يدين بالمذهب الثانى كما نفهم من كتاباته وإن لم يقل ذلك . على أن كلا المذهبين لا يمكن أن ينفى أنّ للتجاوب النفسانى أثراً عظيماً فى تفهّم الآثار الأدبية تفهماً عميقاً وتقديرها تقديراً صافياً . ونحن إذ نقول :

كنْ أنتَ نفسى واقترنْ بعواطفى تجد المعيبَ لدىّ غيرَ معيب

لا نعنى شيئاً مما عناه الدكتور زكى مبارك ، وانما نعنى ضرورة تمثل ظروف الشاعر وحالته النفسية حتى يمكن الحكم الصادق عليه ، وهذا البيت والأبيات التالية له قيلت فى مناسبةٍ معينةٍ ردّاً على منتقدٍ مقطوعةً غزليةً لنا ، وقد أردنا محاجّته بمذهب سانت بيف . مثال ذلك: قد ينتقد مستشرقٌ فى انجلترا هذا البيت :

الفجرُ فى الأفُقِ الشرقىّ قد ظهرَا كأنما هو بركانٌ قد انفجرَا !

ولكنه لو شاهد مثل هذا الفجر فى بلادنا وتَصَوَّر شُعورَ الشاعر الشرقى ازاءه لما رأى لنقده محلاً ، ولوجد ما يعدّه معيباً هو فى الواقع غيرُ مَعيبٍ . ومثال آخر قولنا فى « الشروق الهادىء » :

أشرقَ الصُّبحُ فى هُدوءٍ عميقٍ كهدوءِ الحبيب بعدَ الوصالِ

فانّ هذا التعبيرَ قد يُعَدُّ مَعيباً لدَى مَنْ لا يَتصوَّر مناسبتَهُ ونفسيةَ الشاعر فى حين أن تصوُّرَ كل هذا يجعله سائغاً مقبولا من الوجهة الفنية ولو كانت للناقد وجهة نظر أخرى من الناحية الذوقية ، فدراسةُ النفسية جزء هام جداً من دراسة الشعر .

(٢) حصر صديقنا الدكتور موضع النزاع بيننا وبينه فى تأدية المعانى الشعرية لا فى هاته المعانى بالذات ، ونحن نعلم من الدكتور زكى أنه يحسن الظن بنثرنا ، وهو لا يجهل أن النظم لا يقلّ طواعيةً لنا عن النثر ، فلماذا نرضيه بالاداء النثرى ولا نرضيه بالاداء النظمى ؟ يلوح لنا أن السبب يرجع الى أمرين : أولهما جراءتنا فى كثير من تعابيرنا النظمية وهذه لا تستدعى الحيرة اذا ما جاءت نثراً ، فى حين أنه يعنينا تحرير الأسلوب النظمى كما يعنينا تحرير الأسلوب النثرى . وثانيهما ما يراه الدكتور من دسامةٍ وتركيزٍ فى طائفةٍ من هذا الشعر .

فأما عن الأول فأملنا أن يقتنع الدكتور زكى مبارك بأن نهجنا هذا هو خير ما يُخدَم به البيان النظمى تحريراً للشاعرية ما دمنا لا نقضى بذلك على موسيقية الشاعر . وأما عن الثانى فنحن غيرُ مطالَبين بأن نتمادَى وصفاً وتحليلا اذا تناولنا موضوعاً من الموضوعات الشعرية ، فنفسيةُ الشاعر قد يكون نهمُها مشبعاً فى قصائد أخرى فليست فى حاجةٍ الى ذلك التبسط فى قصيدة بالذات. والناقد المؤرخ المستقصى لا مفرَّ له من أن يعتبر جميعَ نظم الشاعر وحدةً شاملةً سواء أكان ذلك الشاعرُ على قيد الحياة أم لم يكن . وهذه مسأله نفسية لا يجوز أن تفوت حضرات النقاد .

(٣) أحسن الدكتور زكى مبارك بتناوله نماذج من شعرنا بالنقد مثل قصيدةٍ لنا فى خليج استانلى ومقطوعة فى نبل الخصومة وثالثة فى ذباب الصيف ورابعة فى صومعة الشاعر المحزون ، فليس أضرَّ على النقد وعلى الأدب من الإبهام ، بينما إبراز الشواهد يساعد على النقاش المثمر ويزجى الشاعر المنقود أو من يدين بمذهبه الى إبراز دقائق ذلك المذهب وتبسيطه ، وقد يؤدى ذلك الى كسب نفس الناقد فى بعض الأحايين أو الى تعديل آرائه بما يجعلها تتلاقى وآراء الشاعر .

فأمَّا عن قصيدتنا « ديمقراطية الجمال » (ص ١٢ من «الينبوع») فقد نُظمت لمناسبة الحملة على الفنانين المتحررين وتعاليمهم ، وقد استوحيناها من مشاهد خليج استانلى ، وخطابنا الشخصى انما هو نيابة عن جميع الذين يشاركوننا شعورنا فلا غبار على قولنا :

لم يَدْرِهِ المتنطعون ، وإنما يدريه كلُّ مفرَّدٍ بشعورى

ولا عجبَ اذا قسمنا الدنيا الى حزبين : حزب المتنطعين وحزب الفنانين ، سواء أكانوا من المنتجين أم من المتذوّقين فنحن نتكلم نيابةً عن أمثال الدكتور زكى مبارك من أنصار الفنون ومن أهلها كما نتكلم اصالةً عن أنفسنا . ونحن بكل سرور نرضى له أو لغيره من زملائنا الشعراء أن ينوب عنا فى مثل هذا الموقف وبنظير هذا التعبير .

ونحن لا نعرف عن شاعرٍ معاصرٍ عُنى بالاختيار اللفظى وبالدقة الموسيقية أكثر من عنايتنا منذ نشأتنا ، واذا كان الدكتور زكى مبارك يشهد بذلك فى منثورنا كما يشهد بحريتنا فى التعبير النثرى ، واذا كان لا يجهل أن سليقتنا النظمية تسعفنا بالنظم السريع فى غير تكلف ، فهل له أن يذكر أيضاً أن مالا يرضيه من منظومنا لا يرجع مطلقاً الى أىّ اهمال

فى النظم وانما يرجع الى جراءتنا فى التركيز من ناحية وفى تطويع ألفاظ كثيرة من ناحية أخرى مجانبين التبسط المألوف الذى كاد يرادف الثرثرة رافضين التقيُّد بتعابير بدائية أو بألفاظ محفوظة تورَّط بسببها كثيرون من الشعراء قديماً وحديثاً فى ألوان عجيبة من المحاكاة ومن أغرب المظاهر الحديثة أن يسطو من له ملكة البيان اللغوى الجزل على الخواطر الشعرية الأصيلة ـ ولا ملكة شعرية ممتازة عنده ـ فيأتى أصدقاؤه المزماريون ليصفقوا لابداعه الوهمى بدل عدّ سرقاته التى لا تحصى ، واذا بهم يزوّرون على التأريخ الأدبى فى غفلتهم هذه بامتداح هؤلاء اللصوص ... وكم من ناقدٍ نابهٍ قادته الغفلة الى هذا التورّط وعدّ هذه الملكة المعكوسة ملكة للابتداع الشعرى فطبل وزمر بينما الادباء المستقلون يبسمون ساخرين من هذه الغفلة أو من هذه الحزبية المريضة التى يُنسيها الرنينُ الموسيقى الملكةَ الشعريةَ الأصيلةَ ، وكيف أنّ أولئك السادة المزماريين أبعد الناس عن الشاعرية الأصيلة وما عدَوْا أن يكونوا مرآة لشعراء كثيرين يخطفون خواطرهم البكر ثم يرصّونها رصّاً فى حلاوة توهم غير المدقق أنهم أهلُ هذه التحف . ... ولا شكّ فى أنّ كل هذا لم يغب عن صديقنا الدكتور زكى مبارك ، ولذلك نرتقب منه أن يحاسب قلمه حساباً عسيراً قبل محاسبتنا ، فمثله أهل لكبح الفوضى وردّ الحقوق الى أصحابها ، وليقدّر الغاية النفسية والفنية من وراء كل تعبير لتعابيرنا قبل أن يتخيل الابهام أو الاهمال ، فكلاهما أبعد ما يكون عن طباعنا . واذا كنا قد تركنا المغرضين ليترنموا بذلك فاننا نأبى على صديقنا وأمثاله من أفاضل النقاد أن يصيروا ضحية هذا الايحاء المغرض .

وقصيدة «ديمقراطية الجمال» هذه متدفقة بشعرها : فكلماتها تتوالى كالأمواج الصافية المسترسلة فى لغة ترى للايجاز مكانه وللاسهاب موضعه ولا حاجة بها للأخير فى هذه المناسبة وهى لم تتناول الا ديمقراطية الجمال . وقد تابع الدكتور زكى مبارك كل بيت من أبياتها كما استوعب وحدتها الفنية فما الفائدة من هذا التشريح الصناعى لبياتها ؟ وهل هذا مما يتفق والنقد الأدبى الحديث ؟ وهل عيبتْ على المتنبى بلاغته حينما اكتفى بالاشارة الى « الطور » حتى تعابَ علينا اشارتنا التى لا يجاورها أى تنافر لفظى ولا معنوى فى بيت جدير بأن يشغل النفس بمعناه بدل أن يشغل الناقد بتشريح لفظه ؟ ! ثم أليس أولئك الذين لا يتنفسون الروحَ الفنىَّ فى حكم الموتى (البيت السابع) ؟ وأليس ذلك اللحظ الذى لا يرى فى هذه الشعلة الفنية سوى ظلمات لحظ ضرير ؟ وهل نسى الدكتور زكى مبارك تلك الحملات الغاشمة التى ساقته هو فيما بعد الى نظم أبياته الرشيقة إذ يقول :

أيا حَرَمَ الظباءِ أنرتَ روحي بمشكاةٍ من الحسنِ الدقيقِ
يراكَ الأكمهونَ حِمًى مباحاً يذكرهم بأسواقِ الرقيقِ
ولو كُشِفَتْ غِشاوتُهم لقالوا صبايا الخلدِ تسبح في الرحيقِ !

يقول الدكتور زكي مبارك إن قولنا « الجمال رشاقة التعبير » كلام ينقصه البيان فليعتبره صديقنا تعريفاً صميماً للجمال ، وهو تعريف صالح لأن يشمل جميع الكائنات ! وليس بصحيح أن هذه القصيدة تجعل بنت أفروديت صنيعةً للوجود ولا تتحدّث عن أثر حسنها في تلوين الوجود فهي شاملة لصنوف التجاوب ، وفيها مظاهر الايحاء الكافي ، فليس من الانصاف أن يقول صديقنا الناقد « لقد أوحت بنت حواء الى الشعر وعجزت بنت أفروديت عن إلهام أبي شادي فلم يتغنَّ الاَّ بهذا الكلام » ، وهذا « الكلام » — على حدّ تعبير صديقنا الفاضل — جمع ما جمع من تصوير وعاطفة وخيال شعري ونقد للبيئة الجامدة التي وصفنا قسوتها ببأس الصخور . فماذا يعيبها بعد ذلك ، اللهمّ الا اذا كان تركيزها ووقوعها في أربعة عشر بيتاً لا أكثر هو مما يعاب ؟ ! أو لعلّ صديقنا يطالبنا بأن نعبر في هذه الأبيات عن جميع ما يخالجنا في شتى المواقف المماثلة ، إذن فليرجع الى دواوينا الأخرى اذا شاء بل ليمعن في نفس هذه القصيدة الوجيزة فيجد أجوبة أسئلته : « ولكن أين القصيدة ؟ وأين الشعر ؟ وأين وحي كل هذه العوالم في نفس الشاعر الفنان ؟ » فليس من الضروري يا صديقي نظم ملحمة شعرية لاثبات ذلك . . .

وقد عاد صديقنا الدكتور الى الحنين الى ذلك التبسط البدائي في نقده « نُبل الخصومة » كما عاد إلى التشريح في نقد أبيات « ذباب الصيف » وآخذنا على قولنا « ثأر له » في البيت :

هجم الذبابُ كأنما ثأرٌ له هذا الهجومُ بغضبةٍ متطايرَهْ

ونحن لا نرى فيه أيةَ رطانة أعجمية ، إذ يُقال ثأرَ لنفسه منه ، فهو تعبيرٌ طبيعيٌّ لا غبار عليه ، ويسرّنا أن تكون همومُ الدكتور زكي مبارك ندية رقيقة نقية ، ولكن الهموم في جملتها غير ذلك فلا شذوذ في وصفنا ، ويعزّ علينا أن تفوت صديقنا الفكاهة في البيت الأخير فيحسبنا سامحه الله من أهل الحشر للقوافي . . . . ورضاء صديقنا عن الأبيات الخاصة بصومعة الشاعر يعزّز رأينا في ارتياحه إلى سهولة الاسلوب وتبسّطه وإن لم تبلغ القوة الشعرية فيه مبلغَها

فى غيره . وهذه نزعة نفسية عنده ليس من السهل التغلّب عليها ، ومثلها نزعة الناقد المتديّن الذى لا يرضى عن الشعر المخالف لنظراته الدينية وإن عظمت الشاعرية فيه . ولكنا نؤمن بقدرة صديقنا الدكتور على محاسبة نفسه قبل محاسبة غيره ، ولذلك نؤمل أن يكون نصيبنا من إنصافه النقدى أوفى عند ما نحظى فى المستقبل بنقده ديواننا الجديد (فوق العُباب) . وله شكرنا القلبى على شجاعته الأدبية وعلى استقلاله النبيل الجدير بأن يطمئنّ اليه الخصم قبل الصديق .

بين الجديد والقديم

بين الجديد والقديم حرب عوان ، لا يكاد يرتدّ الجمان منها الى الهدوء والراحة رويداً حتى تبدأ من جديد كأروع ما تكون الحروب أثراً وخطراً ، وبين أدباء الشيوخ والشباب معركة حامية الوطيس ، لن ينطفىء لها لهب أو يخبولها أوار ، ما دام أدباء الشيوخ قد وقفوا فى الطريق لا يريمون عن أمكنتهم ، ولا يأذنون لغيرهم من ذوى العزائم الماضية أن يتقدم أو يسير . وستظل المعركة حامية دامية حتى يكتب الله لأحد الفريقين بالنصر أو تلجىء الحياة أدباء الشيوخ أن يقفوا على جانبى الطريق مفسحينها لكل طارق أو عابر دون تحك به أو اعتداء .

والحق أن نهضتنا الأدبية ينقصها عنصران أساسيان هما عنصرا الاخلاص والتشجيع ، فكثير من رجال النهضة الأدبية والفكرية فى مصر غير مخلصين لهذه النهضة ولا يعنيهم من شأنها إلا ما يضفى عليهم ثوب الشهرة ويملأ جيوبهم . وطالما سمعت حتى من كبار هؤلاء الرجال من يشكو مرّ الشكوى من الأدب فى مصر لأن كتبه غير رائجة ولأن الجمهور القارىء ما زال يتناول هذه الكتب بشىء من الريبة والشك ، لهذا تراه دائم السخط كثير التبرم وكأنه كان ـ حين يؤلف هذه الكتب أو يخرجها للناس ـ قد قدر لها الذيوع والانتشار ، فأدباؤنا هذه حالهم ولا يعرفون من الأدب إلا ما يكسبهم شهرة أو يجعل لهم ثروة لا يمكن أن يكونوا مخلصين بحال للنهضة ولا يمكن أن يكتب لمؤلفاتهم البقاء والدوام ، وسوف يشهدون مصرعها فى حياتهم إن قريباً أو بعيداً .

لقد ظهر — وما زال — فى جوّنا الادبى مجلات يزعم أصحابها أن طابعها هو

تجديد الأدب وخدمة الفن ، فنستقبلها خير استقبال ونحتفل بها أى احتفال حتى إذا ما ظهرت راعنا منها أن لا طابع لها اللهم الا طابع الجمود وعدم الاخلاص . وان المجلة التى تخرج للفن وباسم الفن ، هى تلك التى تزن الأدباء والشعراء بميزان آثارهم وما تحويه هذه الآثار من كمية الغذاء الصالحة لا بميزان الأسماء ، هذا الميزان المختل. وعلى هـذا الأساس نبتنى نهضة قويمة راسخة ، وينتعش الأدب ويتجدد ويتقدم قوم ويتخلف آخرون ، ولـكن وآسفاه ما برحنا نرى شبح الديكتاتورية يمتد كذلك على الأدب وينفث فى أفقه المشرق اللامع سموم الرجعية والانحلال . فمعظم المجلات الأدبية التى تظهر الآن فى مصر ليست فى الواقع الا شركات بين جماعات قد اتفقوا فيما بينهم على أن يفرضوا آراءهم فرضاً على القارىء شاء أم أبى ، رضى أم سخط . فالشرط الأول لدى هذه الشركات أن يملأوا هم أنفسهم المجلة فاذا ما بقى فيها فراغ لسبب ما سارعوا لملئه بما يرد اليهم من الرسائل مؤثرين من يتقدم لهم بالوسيط أو الشفيع ولو كان ما كتبه غثاً سقيماً حتى لا تتأخر المجلة عن موعد ظهورها فيقل الدخل فتختلج الجيوب !

وليس أضرّ على الأدب فى مصر من أن تسوده هذه الروح ، وتظهر فيه هذه الشركات التى أقل ما ترمز اليه أن مصر قد أجدبت ، وأنه ليس فيها إلا أولئك الأدباء الذين لا يتجاوزون أصابع اليدين عداً ، والذين لا ينقطعـون عن الـكتابة مشغولين أو خالين مجيدين أو مسفين . ونحن نريد أن نقولها كلمة صريحة لأصحاب هذه المجلات دون مواربة أو رياء : أيها القوم إما أن تـكونوا قد أردتم بمجلاتـكم خدمة الأدب حقاً وإذن فيجب أن تفسحوا المجال للأدب الصحيح وأن تجعلوا له متنفساً على صدور مجلاتـكم حتى ولو كلفكم ذلك ألا تـكتبوا أنتم أنفسكم كل أسبوع أو كلفـكم أكثر من ذلك من نقصان الدخل قليلا فمن يبغى الحقيقة فى عمله يهون عليه فى سبيلها كل غال ، وإما أن تـكونوا قد قصدتم بمجلاتـكم الى التجارة والسهرة وتشجيع الأدب الرخيص وإذن فلـكم ما ارتأيتم ولـكن يجب ألا تضللوا الجمهور أو تخدعوه باسم الأدب الصحيح ، وانما سيروا فى طريقكم ـ طريق التجارة ـ متواضعين وفقكم الله !

وما كنا لنتعرض لأصحاب هذه المجلات بمدح أو بقدح لولا انهم قد تعرضوا لنا بالقدح والتشنيع لمناسبة وغير مناسبة فهم كلما التوت عليهم سبل التفكير رجعوا الى أدباء الشباب ووقفوا منهم موقف الاساتذة والمشرعين يحلون لهم ما يشاءون

ويحرمون عليهم ما يشاءون أيضا ثم أخذوا يتحدثون عنهم أحاديث السخرية والاستخفاف : فالشعر الذى ينظمونه فى هذه الأيام مائع كله شكوى ودموع وغرام لا أثر فيه للحياة المصرية ولا للبيئة المصرية ، فأين شمسنا المشرقة وسماؤنا الصاحية وأين المروج والنخيل والحقول والسواقى مما ينظم شعراء الشباب بل من الطبيعة المصرية التى ما كان أحجاها أن تلهم الشاعر تأمل الصحراء وأحلام النخيل وابتسام الصحو لا أن تلهمه ما تلهم الطبيعة الانجليزية من أمثال « الملاح التائه » و « الزورق الحالم » و « وراء الغمام » الخ هذه السفسطة الفارغة ، ونحن بدورنا نسألهم وأنتم : أليس فيكم الأديب والشاعر ؟ ولماذا لم تكتبوا أنتم عن كل ذلك فتكملوا نقصاً تعتقدونه ، أم ان المسألة مسألة مقالات تكتب عن يوم الجمعة أو يوم الاحد وغير ذلك من الاحاديث الفارغة ؟

إن ما تكتبونه أنتم أيها القوم هو ما تستأهلون عليه كل النقد ، وكل اللوم ، لأنه ملاحظات تنتهى بانتهاء وقتها ، ولا تظنوا أنكم قد خدمتم الأدب برواية تترجمونها ، أو مقالات تجمعونها ، وان ديواناً صغير الحجم من دواوين شعراء الشباب التى تظهر فى هذه الأيام لأفيد للأدب وأمرى عليه ، لأنه يوقظ ميت الشعور من الأساس من كل ما كتبتم أو تكتبون .

والعجيب أن أولئك القوم يحرمون على غيرهم ما يحلون لأنفسهم فهم يكتبون جل ما يكتبون عن المرأة والحب سواء أكان ذلك فى روايات يترجمونها أم مقالات ينشرونها ثم هم مع هذا لا يريدون من الشاعر أن يبين عما يختلج به فؤاده من حب وانما يريدون أن يقفوا منه موقف معلم الانشاء من تلاميذه يحدد لهم الموضوع ويطالبهم بالاجادة ولو أن أى شاعر بالغ ما بلغ تأثر بقولهم فراح يحدثنا عن تأملات الصحراء وأحلام النخيل دون أن تنفعل لهذه المشاهد نفسه لأعوزه فى شعره الصدق الأصيل والحياة والروح ، ذلك لأنه لا يرضى نفسه وانما يتملق القراء . فشعر هذا شأنه يستحيل أن يكون له حظ من الاجادة والبقاء .

إن الشاعر وبيئته كالآنية المستطرفة فهو يشكو ويبكى حين تجبره البيئة على الشكوى والبكاء ، فاذا كانت الفضائل قد فقدت قيمتها واذا كان كل جانب من جوانب الحياة المصرية يوحى بالشكوى والبكاء والثورة والتمرد ، أفبعد هذا تعيبون على الشاعر وهو الشديد التأثر السريع الانفعال أن يشكو ويبالغ فى الشكوى أو يبكى ويتحرق فى البكاء ؟ أتطالبونه بأن يبتسم فى مواقف الألم الممض

والحزن الشامل ؟ لو أنه فعل لكان معتوهاً أو لكان على الأقل جامد الاحساس ، ميت الشعور ، فاقد الذوق !

ومن مظاهر عدم اخلاص هذه الجماعات للأدب أن تجترىء أيضاً على الأديب المصرى فترميه تارة بجهل اللغة العربية كل الجهل وإغفال الأدب العربى وطوراً بالعمى عن مناظر بلده ومحاسن طبيعته ومفاخر قومه ، ولو أنك سألت صاحب هذا الزعم القائل من أين لك ذلك ما حار جواباً أكثر من المداورة والهذر ، ولو أنهم كانوا يكلفون أنفسهم ولو تصفح فهارس دواوين الشعراء المعاصرين كمطران وأبى شادى وشكرى والعقاد وعلى طه وناجى وغيرهم من المجددين لوجدوا الطبيعة المصرية والحياة المصرية والتاريخ المصرى كل أولئك ماثلاً على صفحات هذه الدواوين ، ولكنهم قوم قد طاف برءوسهم طائف الزعامة ، لهم أن يفتروا ما يشاءون ولهم أن يجهلوا غيرهم ما يشاءون ، ثم ليس لى أو لك أيها القارىء أن نرفع أصواتنا ناقدين أو محتجين لأنهم ملوك الأدب وحراس كعبته ، وسدنة بيته ، والملوك كما نعلم تتسامى أقدارهم عن كل نقد أو تجريح !

وإذا كان قد تبين لك أيها القارىء مما مر بك مدى عدم إخلاص أولئك القوم للنهضة الأدبية ، وأنهم يريدونها ديكتاتورية بغيضة ، ينزعمون هم فيها ، ويتسلطون على كل صوت حتى لا يشار إلى غيرهم ، ولا يتحدث عن غيرهم - إذا كان قد تبين لك كل هذا أيها القارىء ، فانى محدثك أيضاً عن اعتلال أذواقهم الأدبية ، واختلال مقاييسهم النقدية ، وأنهم قد أصبحوا بحالة لا يستطيعون معها أن يميزوا جيد القول من رديئه وصحيحه من سقيمه ، ولا يضاح ذلك رواية طريفة : فلقد أرسل شاعر ناشىء إلى أحد أصحاب هذه المجلات قصيدة أسماها « تحية سجينة » وهى قصيدة مليئة بالحيرة والحياة ولكنها لم ترق صاحب المجلة فقبرها وحرم عليها أن ترى النور والحياة وآثر عليها قصيدة أخرى مختلطة الوزن لشاعر يعرفه أو قل يتقدم إليه بالشفيع والوسيط ، ولولا ضيق المقام لنشرنا المثالين ليعرف الجمهور أن أولئك القوم ليسوا مخلصين بحال للنهضة الأدبية وأن خير الكلام نثراً وشعراً هو ما يئده رؤساء التحرير حياً لا ما ينشرونه على صفحات مجلاتهم .

ولو أن القوم أخلصوا للأدب ، ولو أنهم نظروا إلى المقول دون القائل ، لكان لنا اليوم شأن أى شأن ، ولكن القوم كما تعلم معذورون لأنهم يخلصون ولا

يودون أن يخلصوا وانما يريدون أنفسهم هم ، ومن بعدهم الطوفان !

وبعد ، فأريد أن أحدثك عن العنصر الثانى : عنصر التشجيع وموقف شيوخ الأدب منه . إن التشجيع هو فى الواقع سلم الفوز ، ومرقى النجاح ، فهو الذى يحفز الهمم ويقوى العزائم ويقدر الشاعر أوالاديب على الدرس المتواصل والابتكار. ولعلك ألا تفهم أنى أريد التشجيع بكل ما وسعته هذه الكلمة من تشجيع ! كلا فما لهذا أردت أو أريد ، ولكنى أقصد تشجيع كل ما يستأهل التشجيع والأخذ بيد من يستحق من الأدباء أو الشعراء الناشئين حتى نمكن لهم من أسباب الانتاج الحى ونغرس فى نفوسهم المنافسة المحمودة والاقدام ، ولكن كأنّ القوم يعز عليهم أن يتقدموا بشىء من ذلك خدمة للأدب أو رغبة فى بعثه فهم لا يشجعون مخلوقاً بالغاً ما بلغ وهم لا يسكتون عن شاعر أو أديب يتغلب على هذه العقبات ويخرج للناس صورة من حياته العقلية أو العاطفية فى تواضع وهدوء ، ولكنهم إما أن يهملوه اهمالاً شائناً وإما أن يقفوا منه موقف السخرية والاستخفاف والتعنيف والتجريح ورميه بالجهل طوراً وبالعمى طوراً آخر ! وبعد كل هذه المضايقات يقف أحد متزعميهم صائحاً : أين الأديب الذى استطاع أن ينسينا العقاد وهيكل والمازنى ، وأبن الشاعر الذى استطاع أن يصرفنا عن حافظ أو شوقى ؟ أين ؟ لكأنكم أيها القوم تريدون أن تتشقق الأرض ، فتخرج لكم دفعة واحدة شعراء عالميين وأدباء خالدين ، ولو أن الأرض أخرجت لكم ما تريدون ما كان أولئك الشعراء أو الأدباء بأوفى حظاً عندكم من اخوانهم المغضوب عليهم بل لوقفتم منهم أيضاً موقف العرب من محمد صلى الله عليه حينما بدهم بقرآن جديد ودين جديد ، فأخذوا يصيحون به : هذا ساحر ! هذا شاعر ! هذا مجنون !

ويسرنى أن أبشرك أيها القارىء ، أن أدباء الشباب وشعراء الشباب ما كانوا يوماً بحاجة الى التشجيع أو الانصاف : فهم يعملون متواضعين ، وهم يشقون طريقهم بين الأمواج صامتين ، وهم يخدمون الأدب بدمائهم وأرواحهم وأموالهم غير متململين أو شاكين ، وهم لا يطمعون فى أن يعطف عليهم كاتب أو أديب ، وهم لا يهمهم أن يمدحهم مادح لايسخطهم أن يتنكر لهم متنكر أو يتنمر لهم متنمر ، فهم قوم فوق الرضى والسخط واللجاجة والخصومة ، قوم لهم رسالة فى الحياة خلقوا ليؤدوها ويبلغوها مستعذبين فى سبيلها الألم والكفران ، واذا عزّ عليهم ما يلاقونه فى سبيل الدعوة

من عنت وإرهاق ، فالزمن وحده هو الفيصل والمستقبل كفيل بالانصاف ، وبحسبهم نجاحاً أن قد غدا لهم صوت مرهوب وخبر منشور وان أدباء الشيوخ قد أحسوا بنشاطهم واعترفوا بوجودهم فأخذوا يرصدون لهم فى كل طريق ويطاردونهم فى كل سبيل ، وإن فى ذلك للآية الكبرى على فوز الشباب رغم إرادة الشيوخ !

***

ولعلك الآن أيها القارىء قد برمت بالقديم وأنصار القديم ، ولعلك قد مللت حديث القديم وأنصار القديم ، بل لعلك لا تكون حانقاً علىّ لأنى أضايقك بالقديم وأنصار القديم ، وما كنت لأضجرك أو أضايقك لولا أنهم هم الذين يدفعوننا الى هذا الضجر وتلك المضايقة ، ومع ذلك فأنا زعيم بأن أروّح عنك وأبدل الضجر ارتياحاً والمضايقة انبساطاً ، وإذا شئت فتعالَ معى أيها القارىء الى دنيا الشباب لنكشف أسرارها وكنوزها ونستطلع روائعها وعجائبها ولنرى أية دنيا هى هذه الدنيا العجيبة الغريبة . ماهذا السكون السائد والصفاء الشامل والمحبة المشرقة فى سمائها ؟ هى خصائص هذه الحياة ! عجباً ! وما هذه الجيوش الزاخرة تمشى فلا ضغينة بينها ولا كيد ولا حفيظة ولا شجار ؟ وما هذه الرحمة والتسامح والانسانية والتسامى ؟ هؤلاء هم جند الشباب ورسل الهداية مصابيح الدجى وتلك هى سماتهم ! أجل ، ما أروع هذه الدنيا وأفتنها وما أحقها بالخلود ، وانها لجديرة بأن تحب وأن تستثير غضب الواجدين وسخط الكسالى المتخلفين .

والحق انه اذا كان هناك من فرق بين أدباء الشباب والشيوخ فذلك أن أدباء الشباب يدينون بالابتكار لا بالتقليد وينزهون أنفسهم عن سخائم الشيوخ من أذى الآخرين والكيد بهم أو الحقد عليهم ، هم أخوة رحماء فيما بينهم يفرح كل منهم بمجهود الآخر ويفاخر به ويكاثر حتى لكأنه بضعة منه هو ، فأنا كأديب شاب لا أستطيع أن أعبر لك عن مقدار فرحى واغتباطى عند ما اقرأ قصيدة رائعة أو بحثاً مفيداً لشكرى أو أبى شادى أو العقاد أو ناجى أو الصيرفى أو سيد قطب أو على طه أو لغيرهم من أدباء الشباب ، ولو كنت أنا صاحب هذه القصيدة أو ذلك البحث ما اغتبطت كل هذا الاغتباط ، فبتلك النفوس السامية التى يغمرها الحب العام ينمو الأدب ويزدهر ويستقبل عهداً جديداً سعيداً ولو كره الغاشمون !

وإننى لأبعث على البعد الى رسل الشباب بأرقّ التحايا ، وأحيى فيهم الدأب المتواصل والجهاد المشكور ، رغم ما يعترضهم فى طريقهم من عقبات وأشواك .

عبد العزيز عتيق

رسائل النقد

يرى بعض النقاد ان القسوة فى النقد هى خير سبيل يُنتهج لرفع مستوى الانتاج الأدبى ، ومن هذا الفريق صديقنا الدكتور زكى مبارك ، ويذهب فريق آخر إلى وجوب التطرف فى النقد معلناً ان فى ذلك الخير كل الخير للأدب ، ومن هذا الفريق الأدباء عباس محمود العقاد (تمبز فى الميزان) ومصطفى صادق الرافعى (على السفود) ورمزى مفتاح (رسائل النقد) . وسواء اتفقنا وهذا الفريق فى الرأى أم لم نتفق فان لكل ناقد وجهة نظر يعتقد أنها عين الصواب — وقد قرأنا فى مجلة « الأسبوع » كلمة للأديب محمد على رزق يحمل فيها على الدكتور رمزى مفتاح ويرميه بألفاظ تخرج عن النقد الأدبى والنظر الفنى ، وهو فى ذلك متشيع للعقاد ، وما كنا نحب أن يتورّط رزق فيما كتب ، لأن العقاد نفسه ممن استنّوا هذه السنّة يوم كتب (تمبز فى الميزان) وقبلها (الديوان) لينال من شوقى بل لا شك فى أنّ العقاد هو الرائد لهذا الطراز من النقد . على ان هذه القسوة لا تكفى لهدم أعلام الأدب ، وكما بقى شوقى شاعراً جهيراً رغم طعنة العقاد ، فسيبقى العقاد شاعراً ممتازاً رغم طعنتىْ الرافعى ومفتاح .

على ان الكتاب الذى نحن بصدده اليوم ، وهو « رسائل النقد » ، يختلف اختلافاً كبيراً عن كتابىْ العقاد والرافعى ، فرسائل النقد يطوى بين صفحاته بحوثاً قلما يستطيع كاتب أن يوفّق اليها كتحليل نظرية العقد العصبية وتخطىء فكرة وجود العقل الباطن ، ودراسة فلسفة الموسيقى ، وغير ذلك مما يلقى لنا ضوءاً على مؤلف الكتاب وسعة اطلاعه وعمق تفكيره كما تدلنا لغة الكتاب على مقدرة المؤلف اللغوية فى التعبير عن رأيه .

وللكتاب مقدمة بقلم الأديب جبران سليم جاءت بها أبيات للمرحوم طانيوس عبده نظر اليها العقاد ونقل معناها وأكثر ألفاظها نقلا لا نستطيع نسبته إلى توارد الخواطر ، فأما أبيات طانيوس عبده فهى :

أحبُّكِ لا لجمالٍ وُصِفْ فكان الرسولَ إلى كلِّ قلبْ
ولا لكمالٍ به تتّصفْ صفاتك فى كل حدب وصوبْ
ولا لذكاءٍ عجيبٍ عُرِفْ فكان السبيلَ إلى كلِّ عجبْ

ولكنّ هذا الفؤاد افتتنْ (بأنت) و(أنتِ) المنى والمرامْ

وأما أبيات العقاد فهى :

لست أهواكِ للجمال ، وإن كا ن جميلاً ذاك المحيّا العفوفْ
لست أهواك للذكاء ، وان كا ن ذكاء يذكى النهى ويشوفْ
لست أهواكِ للدلال ، وإن كا ن ظريفاً يصبو إليه الظريفْ
لست أهواكِ للخصال ، وإن ر فّ علينا منهن ظلّ وريفْ
أنا أهواكِ (أنتِ) (أنتِ) ، فلا شيء سوى أنتِ بالفؤاد يطيفْ

ننتقل بعد ذلك من المقدمة إلى صميم الكتاب ، فأقول إنه لولا شدة المؤلف فى بعض ألفاظه لكان هذا الكتاب من أحسن كتب النقد التى أنجبتها الأقلام المصرية إن لم يكن أحسنها ، وقد ساق الينا المؤلف تمهيداً ظريفاً فى نشوء الصداقة بين عبد الرحمن شكرى وصديقيه العقاد والمازنى فى أسلوب قصصى ممتع حلو الفكاهة والعبارة ، كما ساق الينا مقدار تأثر هذين الأديبين بأخيلة شكرى وشاعريته وكيف أنهما جحدا فضله بعد ذلك ، ولكن الحقيقة أن العقاد والمازنى لا يزالان إلى اليوم يعترفان بفضل شكرى عليهما ويكبران شاعريته ، غير أن المازنى يعتقد أن شكرى هو الذى بدأهما بالاساءة .

وتطرق بنا المؤلف بعد ذلك إلى نظرية العقد العصبية وهو بحث يكاد يكون الأول من نوعه فى كتبنا الأدبية ، وقد أطال فيه المؤلف فى غير تمرض للعقاد وإن رجع اليه فى الفصول التالية وغرضه الأول من ذلك فائدة القارىء .

ثم انتقل الى تاريخ العقاد بقلمه وفيه يقول العقاد إنه لم ينل قسطاً وافراً من التعليم بين جدران معهد أو جامعة ، وقد أخذ عليه المؤلف قوله إنه غير آسف على ذلك !

فرمزى مفتاح يخالف العقاد فى نظرية الاطلاع الحرّ ، والحقيقة أن التعليم المنظم الجامعى يوسع آفاق العقل ويبنى الأساس للاطلاع الحر ، وهناك من الشعراء مَنْ لم يتلق شيئاً من التعليم فى معهد منظم ، ومع ذلك عُدّ من أعلام الشعر ، والمسألة هى أن التعليم المنظم لازم للقائد الاجتماعى والمفكر وأقل لزوماً للشاعر ، لأن هذا يعتمد أكثر الاعتماد على الابتكار والاستحداث . فاذا أخذنا العقاد كشاعر

وجدنا أنه محقٌّ فى قلة أسفه على انعدام الاثر الجامعى من حياته ، واذا تناولناه كقائد لهيئة سياسية فى مصر وجدنا أن هناك نقطة ضعفٍ فى حياته .

هناك نقاط تتأرجح بين المسألتين الخلقية والشعرية فى حياة العقاد فمؤلف الكتاب يستنبط من شعر العقاد أنه يميل إلى الغانيات اللواتى تلتفّ حولهن المجالس ويصبو الى العربدة ، ثم يقول إنه كثيراً ما يوجّه شعره الى صيغة المذكر ، ولكننا نرى أن المبدأ السائد والصحيح أن الفنّان يجب أن يسعى الى غاية الكمال الفنى لا الى غاية الكمال الخلقى .

وقد قالوا إن شكسبير كان مدمناً عربيداً صعلوكاً وقطعوا أن أوسكار وايلد كان يستوحى غلامَه ، وهذا بوديلير الشاعر الفحل يعيش فى جوٍّ من الفسق والمخدرات والخمر ، فنحن نرى أن ما يعيب الشاعر فى خلقه لا يعيب فنّه بالمرة ، بل ربما زاد فنه جمالاً وسموّاً .

هذه المذاهب الفنية كثيرة وقد يجتمع عليها نفرٌ ولا يقرّها نفرٌ آخر ، فهناك فى ألمانيا موطن للعرى يستمرؤه أهله وينكره غيرهم ، ومن الناس من يهيم بالاباحية ويؤمن بالشيوعية فى اللذات ومن ذلك قصيدة العقاد (ليلة الأربعاء) يصف بها ليلةً فى دارٍ فيقول :

فنهضنا للهوِ فى دار ذى القر نين بين الصحاب والقرناء
ووصلنا مساءها بصباح ووصلنا صباحَها بمساء !

ثم يرى الشاعر ان الحبيب يميل عنه نحو ذوى الثراء فتحرقه لوعة الفقر والحرمان فيقول :

حسبنا منك أن نراك وإن كنـ ـتَ تميل الحفونَ بالاغضاء
وتجلّ الغنى وما الحسن إلا سلعة عند معشر الأغنياء !

قد يشعر القارىء بأن هذه القصيدة تنتقص خلق العقاد وهذا ما يراه المؤلف ولكننى أرى أمراً آخر — فهذه القصيدة تحتمل أحد رأيين ، فاما انها اجتماعية وإما أنها شخصية ، فان كانت الثانية فنحن نوافق المؤلف فى رأيه وإن كانت اجتماعية — أعنى انها لم تقع بهذه الصورة الاشتراكية — وانما يعنى العقاد بها لوعة الفقير حينما يشعر بالحرمان وتتحرق نفسه إلى ما فى أيدى ذوى الثراء من نعمة وطيبات ، هنا نرى أنها قصيدة ممتازة ولا شك .

وهناك قصيدة لعبد الرحمن شكرى مطلعها :

يا وضيء البسماتِ وحيّى الوجنـــاتِ

إلى أن يقول :

سألوا فى أىّ حالٍ هو أحلى فى الصفاتِ
قلتُ أحلى ما تراه فى حديثِ اللحظاتِ
فاذا أرضى لحاظاً كان أحلى فى السباتِ
وهو أحلى منه إن فا ه وأحلى فى الصماتِ
واذا صدّ فـا أحـــلاه جهـمَ النظرات
فاذا لانَ فـا أحـــلاه طلقَ اللمحاتِ
كلُّ حالٍ منه أشهى حالةً فى الحسناتِ

وقال العقاد متأثراً بقصيدة صديقه شكرى :

صِفه لى صِفه وما كا ن بمجهول الصفاتِ
أترى ألبقَ منـه باصطيـادِ المهجـات
صفه غضبانَ وصِفْهُ لاعباً بين اللداتِ
ضاحكاً كالصبح يمحو بالضياء الظلمـــاتِ
صِفه فى كلِّ كساء صِفه فى كل الجهاتِ

ويقول الدكتور مفتاح إن العقاد أخطأ فى قوله (صفه فى كل كساء) لأن الحبيب لا يكون فى كساء غيره فى كساء آخر ، وكذلك (صفه فى كل الجهات) لأن الحبيب لا يكون فى جهة غيره فى جهة أخرى .

بيد أننا لا نوافق الدكتور على ذلك لأن من الشعراء من تفتنهم الأضواء والاطياف والألوان ؛ وإليه قصيدة (الثوب الأزرق) للعقاد فهى من أروع الشعر الحديث ، وإن كان لا يؤمن بشعر العقاد فاليه أبوشادى الذى لا تكاد تخلو قصيدة له من الألوان والأطياف ، على أن للأثواب المتباينة آثاراً متباينة فى نفس الشاعر فقد يتشاءم لرؤية الحبيب فى الثوب الاسود ويتفاءل للثوب الأبيض ويبتهج للثوب

الاخضر وهكذا ـ كما أن لاختلاف الجهات أثراً قوياً فى نفس الشاعر فوقف الحبيب على الشاطىء يعطى صورة غير صورته فى المخدع ، وتختلف هذه وتلك عن موقفه بين الزهور وهلم جرّا ، فهذا البيت جميل ولو كنت أنا العقاد لتوسعت فيه فهو يتضمن معانىَ جمة .

أما عن قصيدة (القريب البعيد) للعقاد والتى يقول فيها :

وأشدّ ما لاقيتُ من ألم الجوى قربُ الحبيب وما إليه وصولُ

ففى عنوانها ومعناها نظر قريب الى بيت ابن الرومى :

هى فى العين وهى أبعدُ من نجـم الثريّا فهى القريبُ البعيـدُ

على أن المعنى أصبح مطروقاً متداولاً ردّده ألف شاعر ومتشاعر . بلى ذلك بحثٌ فى فلسفة الموسيقى هو من البراعة بمكان كبير يسوقه الدكتور رمزى ولا يتعرض فى خلاله للعقاد فيتركك لقراءته بهدوء وأنت بين اعجاب ولذّة ، وهذا البحث وأمثاله هو ما جعلنا نعترف بقدر هذا الكتاب .

قد أطلنا ، ولو أن الكتاب يستحق من الاطالة أكثر من ذلك ، وكم كنا نحب أن نرى رسالة النقد فى هدوء حتى لا ينتاب الناس شك فى نية المؤلف التى لاجدال فى صفائها ونبالتها ، ففيه آراء صائبة ونظرات صادقة وفيه حدّة غير مرغوب فيها. على أن للجمهور أن يقرأ ويحكم ، فما العقاد بالرجل المجهول المكان فى عالم الأدب والشعر ، ولا رسائل النقد بالكتاب السطحىّ الضئيل القيمة ؟

صالح جودت

ديوان صالح جودت

تمهيد

بين يدىّ اليوم ديوان صالح جودت وهو الثمرة الأولى لشاعر من شعراء الشباب وبجواره بعض الدراسات التى تناولته أقرؤها وأتصفحه فأراها على اختلافها وتنوعها نظرات عامة لا تتجاوز فى مجموعها شخص الشاعر وتوثبه ونهوضه أو وداعته

وسكونه ، إلى غير ذلك من أخلاقه التى لا تعنى المتأدبين والقارئين بوجه عام بقدر ما يعنيهم شعر الشاعر واتجاهه وقيمته الفنّية .

ولست أمهد بذلك إلى أن كلمتى هذه ستعالج شعر صالح جودت من جميع نواحيه أو تستوعب مواطن الجمال فيه ، ولكنى سأقصر بحثى اليوم على نواحٍ ثلاث من شعر هذا الديوان إن لم تكن جميعَه فانها أوضح ما فيه ، وتلك الأبواب الثلاثة هى الغزل والاجتماع وشعر المناسبات .

الغزل

يخيل الىّ كما يخيل لكثيرين ممن اطلعوا على هذا الديوان أن (صالح جودت) شاعر غزلى بطبعه ، وُلد فى رياض الحب وأرضع فى مهده لبانه ، ونشأ فى بيئة باسمة لم تر الحزن ولم تتعرف الى الشقاء ، فهو شاعر عاطفى دقيق الاحساس تقرأ شعره أو تسمعه فلا تشك فى أنه جزء من نفس صاحبه وقطعة من روحه لا أثر فيه للتكلف ولا للرياء - وإذا كان لبعض الشعراء أن يستتروا وراء شعرهم وأن يغالطوا قارئيهم فيقولون غير ما يفعلون ويتحدثون بغير ما يتصفون فانما بأيدينا من شعر صالح نستطيع بعد أن رأيناه وحادثناه أن نقول غير مبالغين إنه مرآة لنفس صاحبه وصورة من هدوئه ووداعته .

أقرأ الآن قصيدته (على ضفاف الزمالك) فتتمثل الىّ روعة الغروب فى تلك الضاحية الجميلة خلال الدجى حيث يرخى سوداء ثيابه على شاطئ النيل الصامت الحزين — وفى زورق صغير يمزق صوت مجدافيه اجلال هذا السكون يجلس صالح حيث يسبح خياله ويطلق اليه العنان فيتمثل فيه الحبيب ويرى شخصه من خلف الدجى فيناجيه قائلاً من غير يراعة ولا قرطاس :

أظلم الأفقُ من سماء الزمالكْ وطوت نوره الليالى الحوالكْ
وانثنى الزورق السبوحُ بصبٍّ يتمنى لقيا الحبيب هنالكْ
وهفت بى سفينةُ الفكر حتى لاح خلف الهزيع طيفُ خيالكْ

ثم يشرح له آلامه ولواعج شوقه ومكانته من نفسه فيقول :

أنتَ أقصى الآمال عندى فقل لى يا حبيبى ما منتهى آمالكْ
أنت ملء النهار والليل فى الفـ كرِ فهلاَّ خطرتُ يوماً ببالكْ؟!

ثم يشمس خياله وتطغى عليه أحلامه فيطلب الى هذا الحبيب وصاله وينصح بانتهاز الفرصة والتمتع بالشباب قبل أن تزول دولة جماله وينقضى ربيع حسنه ونضارته ويتركه بين الندم والحسرة فيقول :

أيهذا الجمالُ سوف تولى وقريباً يحلُّ يومُ زوالكْ
فاختلسْ فرصة الشباب ومتع يا حبيبي أهل الهوى بوصالكْ
سوف يمضى الجمالُ يوما فتمضى تتأسّى بذكريات جمالكْ

وترى صالح فى غزله يرى كما يرى شوقى أن الحياة الحب والحب الحياة ، فهو إذا أحبَّ أو تغزل غالى فى حبه وخلع على حبيبته جميع ما فى الكون من كمال وجمال فهى ابتسام الورود وضوء الشمس والقمر وما كان له أن ينظر الى أولئك أو يعشقها لولا انها صورة لحبيبه أوقبس من ضوئه ، واستمع اليه حين يقول :

ما عشقت الورد لولا أنه صفحة سالت عليها وجنتاكْ
ما حسبت الشمس إلا أنها تتلظى يا حبيبي من جفاكْ
ما عبدت البدر لولا أنه لمحة تنبع من نهرِ سناكْ

ولا يقنع بذلك ولا يقف عنده بل يذهب الى أبعد من ذلك : فيزعم انه لم يخلص العبادة لله إلا لانه تمثله فى عيون الحبيبة ولاح له فى شخصها فصلى له وسجد، وفى ذلك يقول :

رأيتُ الالوهة فى ناظريكِ تلوح خلالَ الجمال الخفى
فأسرفتُ فى صلواتى اليك فما لنت للعابد المسرفِ

* * *

الحب العذرى أو الحب الفنى هو حب الجمال لذاته ، يتغزل الشاعر فى العيون السرد والشعر الذهبي والعنق العاجى والخد الوردى كما يتغزل فى الوردة الباسمة والتمثال المتقن والقمر المطل والجدول الرقراق لأنه يرى فى كل منها لوناً من ألوان الجمال وصورة من صوره تعجب النفوس الصافية وتطرب الأذواق الصقيلة السامية ، وهذا النوع الجميل من الغزل هو الذى يفيض به هذا الديوان الذى بين يدىّ على صغره . اسمعه يقول فى قصيدة (الشارد) :

لك شعر ذهبي فاتنٌ ضاع في موجاته قلبي وذابْ
لك خدان تجرت فيهما حمرة تنساب من قلبي المذابْ
والعيون الزرق من فوقهما غادياتٌ رائحات كالسحابْ !

ولعل في زرقة العيون نوعاً من الجمال أذكر اني لم أره ولم أقرأه . يتغزل فيه صالح جودت ولا يعدل به أي لون من العيون في رأيه ، فهو لذلك يهدي اليه ديوانه ويرسل فيه قصيدته التي يختمها بهذا البيت :

العيونُ الزرقُ والشعرُ الذهبْ ألجأني يا حبيبي لهواك !

ثم يذكرها بعد ذلك في أكثر من ثلاثة مواضع من ديوانه ، يذكرها في قصيدة (جبروت) مخاطباً الحبيب :

عيونك الزرقُ نامتْ عمن مَدى الليل يسهرْ ،

ويكررها في هذا البيت من قصيدة (الشارد) وقد سبق ذكره :

والعيونُ الزرقُ من فوقهما رائحاتٌ غادياتٌ كالسحابْ !

ويكررها للمرة الخامسة في البيت الآتي (ص ١٠٩) :

كلّ ما قدمت قربان على الصب وجبْ وفداء للعيون الزرق والشعر الذهبْ

وتعود فترى صالح يصف جسماً عارياً أو شبه عارٍ على شاطىء ستانلى فيقول في أدب وعفاف :

لستُ أنسى لحظة الصيف وما جرّت عليه لحظهً بين غوانى الماء في الاسكندريهْ
إذ تجردت وألقيت من الثوب بقيهْ حدثت عما طوته من ثنايا قدسيهْ
لِمَ حرّمتَ على عيني نواحيك الخفيّهْ أنت إلهامي ومعناى ووحي الشاعريهْ
وانا الزاهد فيما رغبت فيه البريهْ !

وفي البيت الأخير استدراك واحتراس جميل يرتفع بالشاعر ويسمو بنفسه ، على أنه ثمة معنى من معاني الغزل أسمى من هذا النوع وأبعد منه منالا يخيل الى أنّ شاعرنا قد تسامى اليه ونظم فيه : ذلك هو الحب للحب ، ولا يزال هذا النوع سراً غامضاً نحسّه ولا نستطيع تعليله ـ فقد يفنى الجمال ويبقى الحب وقد يعشق الانسان القبيحة ويمنحها قلبه وينأى عن الحسناء على مافيها من جمال . واستمع الى صالح إذ يقول :

عشقت بك الجسدَ العبقريَّ وليس وراء الهوى مأربُ
كمن يشهد الخمر فى كأسها فيشمل منها ولا يشربُ !

وانظر اليه حين يقف من محبوبته موقف الحائر ويصارحها بأن موضع حبه شيء وراء الجمال يشعر به قلبه ويعجز عن وصفه لسانه فيقول :

فيك أمرٌ فوق الجمال سيبقى أبدَ الدهر حيرة الأيام !

ثم تأمله شاعراً رحيم القلب رقيق العاطفة يشفق على عاشقه من العناق رحمة بقده المرهف ويضن به عن التقبيل خوفاً عليه من حر أنفاسه ويقنع بحبه حب الوثنى لمعبوده يسجد له ويصلى عن كثب دون أن يمسّه أو يقترب منه ، واليك بعض قوله فى ذلك :

أحبك لا للعناق فانى أخاف على قدك المرهفِ
ولا اللثم ، انى أخاف عليك من النفس المحرق المتلف !
ولكن أحبك كالوثنى وأزهد فيك وإن تسرفى !

وأشبه بهذا المعنى أو قريب منه قول الشاعر الذى يشفق على حبيبه من خفقان قلبه :

زحزحتُه عنى وكان معانقى كى لا ينام على فؤادٍ خافقِ

وبعد هذا كله ترى صالح جودت شاعراً قانعاً تمثل لك المحب الصادق والخلّ الوفىّ الذى يقنع بطيف الحبيب ويكتفى منه بالنظرة يرسلها عليه فى المنام إن ضن بها عليه فى اليقظة ، فيقول :

انه الطيف سلوة المتمنى وعزاء المعذب المتهالك

ويتمنى لو يبيع لحبيبه روحه بساعة يقضيها معه ميتاً فى قبره فيقول :

هذه روحى فخذ إن شئتها إننى ألفيت شوقى اطمعك
ليتنى أملك إبدالى بها ساعة فى القبر أقضيها معك ! !

ولولا الخيال الجامح لقلت لصالح أى معنى فى اجتماع الميتين فى القبر بعد أن تفارقهما الروح ؟ !

وتراه شاعراً فسيح الخيال يتسع خياله الى الحبيب يهجر حبيبته فيمرض ويموت

وتنعاه الطيور فيخفف من تيهه ويحضر لزيارة قبره فترتدّ اليه الروح ويتعانقان فوق صفائح القبر ، أليس ذلك معنى الأبيات الآتية :

هاجرٌ كم صدّ عنه طائراً تاه حتى جاءه طيرٌ نعانى
فتنامى التيه وارتدّ الى هيكلى فارتدّ روحى وجنانى
وتعانقنا وأحيينا الهوى وبعثنا فى الهوى طيرَ الامانى !

وهل رأيت أرقّ من تلك العاطفة التى يقول صاحبها لحبيبته : اشربى الكأس لأمتع شفتى قبل موتى بآثار قبلاتك فيها ؟ ويصور لك البيان الآتيان هذا المعنى :

اشربى الكأس واتركى لى فيها قبلة تستقرّ بين عظامى
قبلما يخطر النسيم فيمضى بأمانى الهوى ويذرو حطامى !

وينفس على الدموع جريانها على خدود حبيبته ، ويتمنى فى موضع آخر أن يكون دموعاً لها حتى يسيل على خدودها أو يسعد بتقبيلها تقبيل هاتيك الدموع فيقول :

شهدت دموعك فوق الخدود فيا ليتنى دمعة تسكبُ
فانى رأيت ثغور الدموع تقبل خديك يا زينبُ !

وأخيراً يذهب صاحب الديوان الى تقديس الجمال وعبادته ويرى أن له على النفوس حقوقاً أقل ما يجب علينا أن نؤديها له ذلا وخضوعاً فيقول :

كل ما قدمتُ قربان على الصب وجبْ
وفداءٌ للعيون الزرق والشعر الذهبْ

كما يقول فى موضع آخر :

يا رسول الحسن ما أرواحنا غير قربان يغذى هيكلكْ !

شعر الاجتماع

أول ما يطالعك من هذا النوع قصيدته الرائعة التى افتتح بها ديوانه «الهيكل المستباح» وصف فيها البغىّ وصفاً يدمى القلوب ويقطع النفوس — وصفها وهى واقفة بالباب تبتسم لكل قادم وتفتح صدرها لكل عشيق وقد عرضت بضاعتها فى زمهرير الشتاء على من يسميهم «قطاع الطريق» وما بضاعتها سوى ذلك الجسم الذابل والجمال المبتذل والحسن المنهوك . يقول فى مطلعها :

وقفتْ بالباب فى ثوب رقيق تفتح البـاب لقطاع الطريقْ
كم سروقٍ نال منهـا جانبـاً ومضى ! ما أعجب اللصَّ الطليقْ !

ويقسو صالح فى قصيدته هذه على الأقدار وعلى الليالى التى ألجأتها إلى معاناة هذه الآلام فيقول :

جعلت منها الليالى سلعةً ما الليالى غير تجار الرقيقْ
عرضوها فى طريق شائكٍ ترقب المبتاعَ من أهل الطريقْ

وفى النهاية يأبى شاعرنا العف الرقيق أن يستمتع بهذا الجسم الذائب أو يعبث بهذا الجمال المعذب المنهوك ويخبرها بأنه لها صديق ركنى ، ويودعها بعد أن يطلب لها رحمة الله والنجاة من عذابه قائلاً :

يا إلـهى كيف أعـددتَ لها بعد دنياها عذاباً ؟ هل تطيق ؟!
أشـقىُّ الدهر يشقى بعـده وهو بالرحمة فى الأخرى خليق ؟!

والذين وصفوا البغى فى بؤسها وشقائها ونظروا اليها هـذه النظرة العاطفيـة الرحيمة من شعراء هذا العصر قليلون، بيد أنهم على قلتهم لم يتجاوزوا فى رأيى صالح جودت بل لم يدانوه فى عمق نظراته وتغلغله فى صميم الألم والشقاء ومشاركته إياها فى إحساسه وصدق الاعراب عن شعورها. وأحسن ما بيدى الآن من هذه المثل القليلة هى قصيدة المرحوم نقولا رزق الله « إلى بغى » التى يقول فيها :

قد رأينا الجمال زهراً على خديك لـكنه اسـتحال ذبولا
وقفة يا ابنـة الهوى وأجيبى كيف صيرت عرضك المبذولا ؟!
وحماك المباح للناس طرّاً وهـواك المضيـع المرذولا
ذكرينـا فاننا قد نسينا ذلك الوجهَ يوم كان خجولا

« ٠ »

كم تمنى تقبيل ثغرك صبٌّ يوم إذ كان يجهـل التقبيلا
ملـكاً يوم كنت جسماً وروحاً لابساً من عفافه إكليلا
برز الاثمُ للعفـاف فالقـا ه على ساحةِ الفجور قتيـلا
كنت كالبدر طلعـة وكمالا صرت كالبدر نقصـة وأفولا

هم أضلوك ثم قالوا براء نحن منها ، فهم أضلّ سبيلا
كلهم مذنبٌ اليك وما لا قيت إلا مضللاً وبخيلا
أيها الناسُ ذنبكم ذلك الذنـ ـبُ فكونوا اذا حكمتم عدولا

ثم ترى بعد ذلك قصائده : الحسناء الباكية ،والمهزلة الكبرى،ومجنون وأكذوبة الموت،ومواهب، والسفينة الحائرة،وسجين الليل يجنح فيها دائماً الى الفلسفة ـ فلسفة الشك والتساؤل ـ فهو فى معظم هذه القصائد كالسفينة المضطربة أو كالغريق بين الأمواج يهبط بالقارىء تارة الى حضيض الحيرة والظنون ويطفو به الى سماء الطمأنينة واليقين تارة أخرى . تقرأ له فى المهزلة الكبرى :

طفْ بوادى الموت واشهد من أممْ مومياً اليأس وجثمانَ الألم

ويقول :

ما أضلّ الناس يهوون الصبا ويقولون عن الموت البلى
وهو عهدٌ دونه زهر الشبابْ

وقوله من قصيدة أخرى :

مَن رآنى على الحياة وحيداً غارقاً فى محيط نجوى وهمسى
قال : مَن أنت ؟ قلتُ : إنى غريب قال:حدثت ؟ قلتُ:حدثت نفسى!

فترى شاعراً صوفياً وناسكاً زاهداً لبس مسوح العبادة وتبتل و نفض اليدين من دنياه فهو دائب العزلة كلف بالوحدة والانقطاع عن الناس. واليك شعراً أشبه بحديث النساك وعظات المتصوّفين :

رُبَّ نفس قدر الموت لها غرقت بين الندامى والقدحْ
وتناست أنها تطوى السنين ثم تلقى الموت فى رهبتـه

ويشتاق الموت فى هذه القصيدة ويتعجله فيناجيه :

يا ضفافَ الموت طالت غيبتى خبرى بالله أنّى نلتقى

ثم تسمعه يتغنى على شاطىء استانلى بهذه الأبيات التى تبعث الانس وتنسى الهموم :

لستُ أنسى لحظة الصيف وما جرت عليَّهْ
لحظةً بين غوانى الماء فى الاسكندريه

إذ تجرّدت وأبقيت من الثوب بقيّه

وتقرأ له فى موضع آخر :

خُذينى فى ذراعيكِ وضمينى الى صدركْ
دعينى أشرب النورَ الذى ينساب مِن شَعركْ
وروّى لهفةَ الظمآن بالقبلةِ مِن ثغركْ
هى لى ليلةً أغلى يا ليلاى مِن خمركْ

وتقرأ له كذلك قوله فى موضع ثالث :

كم روينا الزهرَ والطيرَ معاً وأنا الساقى وأنت المنبعُ
وبنينا مضجع العشبِ على ضفتيه واحتوانا المضجعُ

فلا ترتاب فى انه شابٌّ ماجنٌ مسرفٌ فى شهوانه عابثٌ بالحياة وما فيها ، لا يعرف غير اللذة العاجلة ولا يحسب للغد ولا للموت حساباً ، وبين هاتين النظرتين المتناقضين والاتجاهين المتعارضين يبدو لك صالح مبعثَ الشك والحيرة ثم مبعث التفكير والامعان . وله فى الموت قصيدة فلسفية يصف القبر وحساب الملكين واليوم الآخر والروح ونهايتها ويرى فيها كما يرى غيره من فلاسفة التصوف ان الموت سمين يعبر عليه الأحياء من شاطىء الى شاطىء أهدأ وأكثر طمأنينة وسكوناً . واستمع اليه إذ يقول :

أليس فى القبر حياة امرىء تطول بالمرء الى حشرهِ
المرءُ يحيا دهره أولا ثم يثنّى العيشَ فى قبرهِ
فكيف قالوا إنه ميتٌ من يوم أن غُيِّبَ فى قبرهِ ؟!

وفى نهايتها يقول :

لا قال بالموت سوى كافرٍ يكذّب الأديانَ مِن كفرهِ

وإن كان ثمة مِن مآخذ على هذه القصيدة فهى اغراقه فى البيت الأخير وذكر البيتين الأخيرين (فكيف ، لا قال) إذْ لا داعى لأحدهما . ندع هذا وننتقل بالقارىء الى قصيدته «الراهب المتمرد» التى استنفدت أكثر من ثلث ديوانه . نظمها على طريقة حوار سقراطى بين راهب متمرد على الدير وكاهن متبتل عالم بخالقه علم

اليقين ، وهى جديرة بالدراسة المستقلة . طرح فيها الدين والخالق وتعاليمه وتحرر من اسار العقيدة وايحائها ، ثم شرع يناقش معظم النظريات الدينية كالموت والبعث والآخرة والجنة والنار والثواب والعقاب والقضاء والقدر .

وأول ما يسترعى انتباهك فى هذه القصيدة هدمه على لسان الراهب ما بناه فى قصيدته السابقة من اعتقاد فى الموت وما بعده فيقول :

فلتحلْ أخراك عنى إنها عالمُ الشكِّ ودنيا الارتيابْ !

وينبرم بالعبادات وحكمها قائلا :

قوتل الايمانَ ! دعنى أغتنمْ لذةَ الدنيا ، ففى الدنيا النعيمْ !

ويمرّ الراهب فى مرحلة الاعتقاد وطريق اليقين بما مر به ابراهيم فى معرفة الخالق فيقول للكاهن : ماهو الله ؟ أهو هذه الأرض التى تحملنا أم الشمس المضيئة أم القمر المنير ؟ أم الرعد القاصف أم العاصفة المجتاحة أم الموت المحتوم ؟ ثم يتدرج الى الشيطان وحقيقته فيقول : أم هو الشيطان ؟ لعله هو ! واسمعه اذ يقول لصاحبه فى الدير :

أهو الشيطان مَن زيَّن لى هذه الدنيا ؟ إذاً فهو الالهْ !
وعلى رسلك يا شيخ ، فما لىَ هذا اليوم معبود سواهْ !
إيه ياشيطانُ يارَبّ الهوى يا إلهَ الدهر ياسرّ الوجودْ

ولا يزال الراهب بالكاهن يشككه ويلقى عليه مثل هذه الأسئلة :

كلّ ما يقضى على الكون جرى بيد الله كما قيل لنا
فاذا أفسدنا شيطاننا فهى من قد أفسدت شيطانها
وإذا أفسد نفسى مرة فلمَ النار ؟ ! وما ذنبى أنا ؟!

حتى يتزعزع إيمان الراهب وتنهار عقيدته فيقول لصاحبه :

أيها الراهبُ قد كشّفتَ لى حُجبَ الكون فزعزعتَ اليقينْ
أنت هدّمتَ بقلبى دولةَ شادها الايمانُ دهراً واليمينْ
فسلاماً أيها الديرُ على عهدك الماضى ـ وداعاً ياسنينْ

وتدوى نواقيس الصلاة فينادى الراهب إخوانه ويرشدهم إلى عبادة الشيطان فيستمعون نصحه ويودّعون الدير معتزمين تركه فى الصحراء ينعى من بناه ـ وهنا

تجد صالح الروائى المبدع والقصصى القدير ينقذ الموقف ويتدارك رهبان الدير فيهبط عليهم ملك الموت قبل أن يغادروه ويبسط ذراعيه على رأس الراهب المتمرد فيصيح بالنشودة الموت مخاطباً ملك الموت :

يامَلاكَ الموت إن قابلت رب العالمينْ قل له قد جاءك الراهب مصدوع اليمينْ
لابساً فى موقف الموت مسوح النادمينْ فلقد علمته بالموت ما معنى اليقينْ

فليس اذاً صالح ملحداً ولا متمرداً على الدين كما حدثنى بعض عارفيه . وأكبر الظن أن الذين يحكمون عليه بالالحاد وامتهان الخالق لم يقرؤوا له سوى قصيدته « الانسان الأول » التى يقول فيها :

أفنى عظيم الحجى والترب تجربة إلا حثالةَ أضغاثٍ وأشلاء
فصاغ آدم منها وهو ممتعض بعد الأمرّين من عدمٍ وإعياء
وراح يخلق حواءً فما سمحت بقيةٌ منهما فى خلق حواء
فاضطر يخلقها من آدم فاذا مركب النقص فيها لهو بنّاء!

ولو قرؤوا هذه القصيدة التى نحن بصددها « الراهب المتمرد » وقرؤوا الى جانب ذلك قوله مخاطباً هؤلاء المتجنين عليه :

أنا لم أنكر الٰهى ساعةً بل عبدت الله فيما يبدعُ

لعدلوا رأيهم ورأوا فيه الشاعر المتدين الذى إن تشكك فى الخالق حقيقة فانما يتشكك ليصل بهذا الشك الى اليقين وقديماً كان الشك فى مذهب سقراط وديكارت من بعده طريقاً من طرق الوصول الى الحقائق ، فهو يريد بذلك الوصول إلى إيمان أرقى من إيمان المقلدين والجهلاء ـ ألست ترى ذلك واضحاً فى قوله :

ويا إلٰهى بعيدٌ علىَّ نقضُ يمينك
لكنّ قومى يودّو ن أن أدين بدينكْ
وأن أعيشَ جهولاً بما اختفى من شئونكْ
وطىّ نفسى سؤالٌ محيرٌ فى فنونك
كتمتهُ الناسَ لكنْ لم يحتجب عن عيونك

وقديماً وُجِّه الى الدكتور أبي شادى مثل هذا النقد لقوله مخاطباً أستاذه خليل مطران من قصيدة :

حبّبتَ لى الطبَّ كأنى به كفرتُ بالدنيا ولم أكفرِ
أستصغرُ العالمَ مِنْ عزّةٍ بالعلمِ والجهلِ وبالمنكرِ
كأنما العُرفُ وإنكارُهُ سيّانِ فى الرُّوحِ وفى الجوهرِ
ما زلتُ بالباب ولكننى كالهاربِ التائهِ فى عَسْكَرِ
والمجهرُ (١) الكاشف لا ينثنى يشوقنى وهماً ولا يمترى
أستنبطُ الأحياء فى نُوره كأننى مستنبطٌ عُنْصرى
كأننى الخلاّقُ فى دقّةٍ والعالمُ الأكبرُ فى مجهرى
كأنما الانسانُ فى قبضتى مستحدَثاً حياً لدى مخبرى (٢)
أو أنما تشريحه نفحةٌ تُحييه بالعلمِ وإن يُقبَرِ

ولكنّ مثل هذا النقد لا تقوم له قائمة فى وقتنا الحاضر وقد اتسعت الثقافة وأدرك النقاد من معانى الفلسفة والتصوف مالم يكن يدركونه من قبل .

شعر المناسبات

أذكر أنى قرأت للدكتور أبى شادى فى الصيف الماضى مقالا نشرته مجلة (الرسالة) ينعى فيه على شعراء المناسبات ويقول إن المناسبات لن تخلق شاعراً عبقرياً ، وكأن أبغض الشعراء اليه هو أسير المناسبات وعبد الظروف ، ويرى أن المناسبات إن كونت شاعراً فان تستطيع أن تخلده ويعتقد أن هذا النوع الذى ترغم عليه البديهة ويحفز اليه الشعور لا حياة فيه ولا خير للأدب من وجوده . ونحن نخالفه فى ذلك ونقول إن جميع الشعراء مدينون فى عهودهم الأولى للمناسبات، وأنت ترى انك نفسك أول قرضك الشعر كان فى رثاء عزيز لديك أو تهنئة صديق أو دعابة فى مجال أنس الى غير ذلك من المناسبات التى هى نهزة البديهة ومثار الوجدان .

---

(١) الميكرسكوب (٢) المخبر : المعمل العلمى الاختبارى

ونضحي بكثير من الشعر العربي ونجرده من أجل نواحيه إذا نحن وافقناك على الزراية بشعر المناسبات : فما اعتذاريات النابغة للنعمان ولا مدائح زهير لهرم بن سنان ومدائح حسان للرسول والمتنبي لسيف الدولة وشوقي لتوفيق وعباس إلا من عمل المناسبات وخلقها . وأي يوم لم تكن أنت يا سيدي في شعرك مديناً للمناسبات : أيوم رثيت سعد وحافظ وشوقي وفيصل أم يوم وقفت على شاطىء استانبول فأعجبك منظره وحرك خاطرك مرأى غوانيه فارتجلت فيه قصيدتك التي منها :

ردّوا شعاعَ الشمس حيث تظلّ ودعوا الحسان مكانها تحتلُّ
الخالعاتِ من الثياب أجلَّها واللابساتِ الحسنَ وهو أجلُّ

أم يوم نظرت الى راهب الدير من نافذة بيتك فناجيته بقصيدتك الرائعة ، أم يوم أطاف بك الذباب وأبصرت نسيج العناكب فتمتمت شفتاك بأبيات سجلت بها شعورك نحو كل منها على القرطاس [1] ؟

كل هذه المُثُل وأشباهها مما هو مدوّن في دواوين شعرك خلقته مناسبات خاصة وأبرزته الى العالم ظروف تختلف قوة وضعفاً ـ بيد أنك في أكثر الأحايين لم تبخل على قارئيك بالتصريح في صدر قصائدك بالمناسبات التي دعت الى مثل هذه القصائد . ألست ترى ذلك واضحاً في مدام بترفلاي ـ المعبد المعتزل ـ طائر الطبيعة ـ أطياف الربيع ـ طالب القوت ـ القلب المتفجر ـ مصور البحر ـ الينبوع ـ راهب الدير ـ حارسة الفن ـ الطائر الحائر ؟ وهذه أهدى طريق الى خلود الشاعر ووضوحه عند قارئيه ، وكم كنت أود أن يتبعها شاعرنا شوقي بك في شعره الذي سيقرؤه أبناء الغد فلا يفهمون ما أراد بالقصيدة ولا في أي غرض قالها . ونعود الى شعر المناسبات في ديوان صالح جودت بعد أن أوضحنا رأينا فيه فلا نرى منه في ديوانه غير قصائد ثلاث اثنتان في الرثاء وثالثة في مهرجان القرش . فأما الأولى فهي في رثاء أحمد شوقي بك ألقاها بمسرح رمسيس في ذكراه الأولى وهي قطعة فنية تجلى فيها تقديره لشوقي واعترافه به وبعبقريته ، أطلق فيها لخياله العنان فمشى بين القبور باكياً حتى عثر على قبر شوقي فخاطبه وناجاه وسأله عن مصر والنيل قائلا :

---

(١) لقد نشرنا في مجلة (الرسالة) نفسها ما يتفق وملاحظات حضرة النّاقد تمام الاتفاق ، وانما نعينا على الشعراء التعلق بالسطحيات العرضية — المحرر

سرت بين القبور يا مصرُ والدم ع سكوب معذب عينىّ
وتبينت بينها جدث الشه ر يوارى شعاعه القدسيّا
فسألناك : هل نسيت هوى الن يل وكنت المولّه المشجيّا ؟
وهتفنا : يا ساكن الخلد غرّد ! فأجاب : البكاء أرضى اليّا !

ثم يستمع الى روح شوقى بين الرموس تناجيه وتجيبه عن سؤاله بمثل هذه الأبيات :

كيف أسلو وقد تركت حسيناً فى حماه وكيف أنسى عليّا ؟
كيف أسلوك جنة الله فى الارض وأنت التى رعيت بنيّا ؟
قد رضعت الحنان منك وليداً فعرفت الغرام فيك صبيّا

أما القصيدة الثانية فهى دمعة على فيصل وصف فيها العراق قبله وكيف كان غريقاً مستعبداً جاهلاً فأطاق اثاره ولمّ شعثه وبذل العناية فى تعليمه وكوّن منه وحدة غالية وقوة قاهرة ، فاستمع اليه إذ يقول :

أين أضحى العراق ؟ أضحى سماء من ضياء وحكمة وائتلاق
أصحت الامة الجهولة مجرى لرحيق العلوم حلو المذاق
أصبحت أمة البداوة روضاً موئقَ الزهر ناضجَ الأوراق
أصبحت أمة التنابذ روحاً فى ائتلاف وعصبة فى وفاق

وأرى أن هذه القصيدة رغم وجازتها أقوى فى باب الرثاء من اختها .

أما القصيدة الثالثة قصيدة المهرجان التى نالت الجائزة الأولى فهى مثلٌ من نهوض الشباب الذى يمثله صالح : تصوّر لنا النفس الوادعة فى طموحها وهبوبها وتضع أمام الناشئين صفحة من صفحات أجدادهم وتذكر المصرى بماضيه ولا سيما النواحى الثائرة فيه فيقول :

لست أنسى فى حياتى ليلةً توّج الدهرُ بها هامَ السنينْ
قد بعثنا الشعبَ من رقدته وفضضنا عنه أغلال السنينْ
هى مصر بنتُ فرعون الذى حكم الدنيا وساد المالكينْ

وأحياناً يتغنى بالحاضر وجهود الشباب فيه فيقول :

نحن شدنا مهرجاناً حافلاً وحففناه بألوان المجونْ
ونشرنا فيه أعلامَ الهدى وعرضنا فيه آيات الفنونْ
وكسونا بالرياحين الربى فتبدت فتنة للناظرينْ
وتغنينا بلحن خالدٍ وملأنا الجوَّ بالشعر الرصينْ
ورددناها عليكم جنةً فادخلوها بسلام آمنينْ !

وفى النهاية يخاطب على ابراهيم باشا مدير المشروع قائلاً :

يا علىّ عونك الله ، وما خاب مَن بالله يوماً يستعينْ
أنشىء المصنعَ وافتحْ بابه واقتلْ العطلَ وآوِ العاطلينْ
يا أميرَ الطب فى أعناقهم عائلات من بنات وبنينْ

والآن وقد انتهينا من هذه الدراسة وقبل أن نضع القلم نعترف بميزة فنية ظاهرة غالبة على شعر صالح جودت : تلك هى الموسيقية العذبة ، تقرؤه رائياً أومهنئاً أو متغزلا أو زاهداً متصوفاً فتشعر بنوع حلو الايقاع يحملك على قراءته والاستمرار فى مطالعته . وفى رأيى أنه لم يتكلف تلك الموسيقى فى شعره ولم يقصدها وانما هو موسيقى بطبعه لافضل له فيها سوى اصطفاء البحور السهلة وايثار الروى المطرب . ونحن إذ نقدم الى القراء هذا الديوان فانما نقدمه كمثل من أمثلة الرقة والسهولة ، تقرأه فلا تحتاج الى معجم ولا تقف عند معنى غريب أو تركيب معقد أو أسلوب مشتبك تحتاج الى السؤال عنه ، واذا كنا قد اجتزأنا فى دراستنا بهذه الأبيات القليلة فكما يجتزىء البستانى من الروض بالزهره أو العطر بالقطرة . ولا يزال هذا الديوان على صغر حجمه حافلاً بأنواع الجمال الفنى والشعر الحىّ الذى يناجى العواطف ويخاطب الوجدان مما يجعل كل كاتب وكل أديب فى حاجة الى مطالعته واقتنائه ؟

طلبة محمد عبره